# الفنان الكبير محمد عبده زيدي وفرادة الغناء التجديدي

**حملت مدينة عدن على جنباتها منذ مطلع القرن الماضي مشروعاً غنائياً موسيقياً كان نقطة تحول وانقلاباً فنياً غير في مسار وهيكل قوام بنية الاغنية اليمنية من النمط التقليدي المتداول والمعهود إلى مرحلة جديدة تميزت باشتغالاتها الجادة والمدروسة ، ذلك بخلق اشكال غنائية جديدة وقوالب موسيقية حديثة استندت إلى الطابع العلمي المنهاجي ، وتمردت بوعي ودراية على شكلها السائد والمعروف في ذلك الوقت ، فقد استطاع جيل الريادة من الفنانين تأسيس وبناء قوالب واشكال موسيقية غنائية (حديثة) جمعت بين الاصالة والتجديد ، وسميت فيما بعد بما يعرف بالغناء الحديث الذي تجاوز بقيمته الفنية ومستواه الراقي المتطور كل ما كان سائداً وموجوداً في تلك الحقبة الزمنية. . فأصبحت الأغنية العدنية بلونها العدني وبثوبها وحلتها الغنائية الموسيقية الجديدة والغناء الحديث وجهان لعملة واحدة . وقد كان من أبرز روادها ومؤسسيها الفنانون الكبار : خليل محمد خليل ،يحيى مكي ، سالم بامدهف ، اسكندر ثابت ، أحمد قاسم ، المرشدي ، محمد سعد عبدالله ، محمد عبده زيدي وآخرون.**

اثناء مشاركته في مهرجان الجزائر عام ١٩٨٤م

الزيدي في المسرح الوطني بالتواهي يحتضن عودي الخاص بالحفل الذي اشتركنا فيه عام ١٩٩٢م مع نخبة من الفنانين

وفي واقع الأمر ان الغناء الحديث كان قاسماً مشتركاً حرص بالاشتغال عليه غنائياً وموسيقياً كل جيل الريادة ، بالاضافة لذلك الهاجس الابداعي الرائع والعام في الانشغال الفكري بالحداثة والتجديد ، وان كانت كل هذه الافكار الغنائية والموسيقية في ذلك الوقت عملت تحت شعار ومفهوم اللون العدني أو الاغنية العدنية لسبب أو لاخر لسنا بصدده في هذا المقام ، إلا أنها في حقيقة الأمر قدمت للغناء اليمني مستوى عالياً راقياً ومتطوراً في أسلوب صياغة الجملة الغنائية الموسيقية ارتقى بذائقة المستمع في الداخل والخارج بشكل عام ، وكان لمدينة عدن هذا السبق الحضاري الإبداعي الإنساني .

كان لكل واحد من الفنانين الرواد طريقته الخاصة ومدرسته المستقلة المتفردة عن غيره من زملائه الفنانين الاخرين ، جعلت له ملامح واستقلالية تميزت بها تجربته الغنائية الموسيقية بتعامله وتعاطيه مع التجديد والحداثة بأدواته الفنية الخاصة واسلوبه ونهجه المتميز في صياغة نتاجاته الإبداعية ، وقد سبق وتحدثنا في مواضيع عديدة نشرت تباعاً بالصحف ، وأشرنا بالتفصيل إلى مايميز كل تجربة من التجارب عن غيرها .

نحن اليوم نقف أمام تجربة فنان ملتزم في غاية الأهمية ، ذلك لانه حمل على عاتقه مهمة تغيير أسلوب الغناء اليمني من الغناء (التطريبي) إلى أسلوب جديد عُرف بمسمى الغناء ( التعبيري) ، فقد كان الغناء اليمني حينها يعتمد على قوة الصوت والاداء الذي يستند إلى السلطنة والتطريب ، وحرفية الصوت بزخرفاته وعربه اثناء الأداء ، وهو ما عرف بالغناء التطريبي.

أما الغناء التعبيري فإنه يختلف تماماً عن سابقه اختلافاً جذرياً ، إذ أن الغناء التعبيري يعتمد على رقة الصوت ودقة التصوير والتعبير الذي يجسد المعاني بإحساس قوي مصحوباً بأداءً هادئ عميقٍ راكزٍ للفنان دون تكلف أو افتعال .

فإذا استمعنا إلى اعمال الفنان الرائع محمد عبده زيدي سنجدها عبارة عن سيناريو غنائي موسيقي متكامل يحمل دلالات موسيقية درامية مكثفة لم نعهدها في الغناء اليمني بذلك العمق والثراء والخصوبة إلا في تجربة الاستاذ إسكندر ثابت ، التي كان لها السبق والخوض بهذا الاسلوب الموسيقي الغنائي الدرامي الحديث والجديد ، مع وجود التمايز والخصوصية بين كل من التجربتين .

فالأستاذ محمد عبده زيدي نجد أن صوته والحانه تفصح لنا بوضوح عن قدرته الفائقة ، وحنكته على تجسيد كل انفعالاته واحاسيسه وخلجاته للتعبير عن مضامين ومعاني النص الغنائي الذي يتعاطاه ، فيضيف بصوته والحانه ابعاداً جمالية وروحية تعطي للنص الغنائي الذي يتعامل معه محمد عبده زيدي إضافات جمالية زاخرة بالصور والدلالات الرائعة المتناغمة مع صوته الدافيء الشجي العميق ، فيأخذنا عند سماعنا لاعماله إلى عوالم وفضاءات ابداعية رحبة نطوف بها معه فنستمع ونتأمل في وقت واحد لسيناريو موسيقي غنائي غاية في الروعة والجمال .

عصام خليدي

وإذا اردنا ان نتأكد من صحة ما أشرنا إليه آنفاً فإننا نشعر ونحن نستمع إلى أعمال الأستاذ محمد عبده زيدي بأنه لايكتب الفصل في أغانيه بين المذهب والكوبليه ، وإلا حدث خلل في سياق اللحن والأغنية ، ذلك لأن بناءها الموسيقي الغنائي الدرامي متماسك متسلسل كوحدة مترابطة لايمكن الفصل فيها بين المذهب والكوبليهات ..ومن هنا تأتي مصداقية (الزيدي) وعظمته في تصوير وترجمة معاناته مع الشاعر بكل صدق وأمانة دون صنعة في كل حالاته الابداعية .

وأمثلتنا على ذلك على سبيل المثال لا الحصر أعماله الغنائية : السعادة ، ورأسك ، غصب عني ، يا حبيب العمر ، غزير السلى ، فقدان ، يا قلبي كفاية ، أحلف بحسنك ، تعال ، القناعة ، لاتتعب نفسك ، ايام تمر ، والله بلدنا نورت ، يا سلام ياتلال ، الوصية .

وفي الحقيقة أن أسلوب ونهج الفنان المبدع محمد عبده زيدي في التلحين هو عبارة عن قصة يكتبها بصياغة موسيقية لها بداية .. وحبكة .. ونهاية.

●● رغم العطاء الفني والإنساني الذي قدمه (الزيدي) للوطن إلا انه لم ينل ما يستحقه من الوفاء والرعاية إلى أن توفاه الله .

●● شكل الفنان محمد عبده زيدي (ثنائياً ناجحاً) مع الشاعر الجميل مصفى خضر ، وقدما معاً روائع خالدة ، بالاضافة إلى تعامله مع شعراء مهمين كالأساتذة أحمد الجابري ، نزار قباني ، لطفي جعفر أمان ، الحميقاني ، أحمد الحماطي ، عبدالرحمن إبراهيم ، عبدالله عبدالكريم ، الأمير صالح مهدي العبدلي .

## شكلت عطاءاته ونتاجاته الغنائية الموسيقية الوطنية أنموذجاً مغايراً خرج به عن المألوف

●● تعامل الأستاذ محمد عبده زيدي مع المقامات الشرقية الأصيلة في اغنياته منها على سبيل المثال : الراست / البياتي / الكرد / النهوند وغيرها .

●● كان الفنان محمد عبده زيدي يشغل منصب رئيس قسم الموسيقى في الاذاعة بعدن ، وله بصمات متميزة موثقة في كثير من التسجيلات الغنائية والفنية.

●● قدم الأستاذ محمد عبده زيدي العديد من الاصوات التي تبناها منهم على سبيل المثال الاساتذة " صباح منصر ، رجاء باسودان ، عصام خليدي ، نجيب ثابت ، جمال داؤد ، كفى عراقي ، محمد خميس.

●● تأثر الفنان محمد عبده زيدي بالفنان أحمد قاسم في بداية حياته وكان عازفاً للكمان بفرقته التجديدية ثم أرسله بعد ذلك للقاهرة لدراسة هندسة الصوت على نفقته الخاصة.

●● عشق الفنان محمد عبده زيدي تجربة الفنان الكبير عبدالحليم حافظ ، ومدرسته الموسيقية الغنائية مع الملحنين الكبار ، محمد الموجي ، كمال الطويل ، بليغ حمدي، التي تميزت باسلوب الغناء التعبيري والاداء العميق والصادق .. وأتذكر انه بدأ حياته كفنان بأغنية (قوللي حاجة ) التي غناها عبدالحليم حافظ واشتهر بها كمطرب ، وقد نجح الفنان محمد عبده زيدي ايضاً في هذه الأغنية التي قدمها بحفل فني كبير شهد ولادته كمطرب فيما بعد ، قدم الاستاذ محمد عبده زيدي اعمالاً وطنية خالدة ورائعة ، وبأسلوب جديد ، وتناول موسيقي متطور وراق .

## وثبات فنية متألقة

ظل عطاء فناننا القدير محمد عبده زيدي متدفقاً متجدداً حتى أخر رمق

## تأثر فنياً بالفنان اسكندر ثابت وبمدرسته الدرامية التعبيرية في الغناء اليمني الحديث

في ذلك الوقت كانت عدن والجزء الجنوبي من اليمن التي كانت تحت الاحتلال البريطاني ملجأ وملاذاً لكثير من المطربين الفارين من ملاحقة أسرة آل حميد الدين ، وتحملت عدن في تلك الفترة مسؤولية الحفاظ على التراث الغنائي القديم ونشره بشتى الطرق .. حتى جاء من قال إنه لولا وجود الغناء الصنعاني في عدن وغيرها من المناطق التي لم تكن خاضعة لحكم أسرة آل حميد الدين لتلاشى ذلك التراث ، حيث كانت عدن أول من سجلت الإغاني اليمنية في آخر الثلاثينات والاربعينيات والتي حفظت لنا الكثير من تلك الاغاني حتى يومنا هذا ، كما أسهمت في اخراج الأغنية الصنعانية إلى المستوى الاقليمي والعربي بفضل الكثير من المطربين أمثال : أبوبكر سالم بلفقيه وعبدالرحمن الحداد وأحمد فتحي ومحمد سعدعبدالله ومحمد مرشد ناجي وفيصل علوي وايوب طارش .. وغيرهم بعد أن قاموا بتهذيب الكثير منها وإعدادها وتقديمها من خلال فرق موسيقية عربية وأدخلوا عليها المقدمات الموسيقية واثروها باللزمات وملء الفراغات الزمنية واعطوا الآلات الموسيقية اليمنية التقليدية الدور الرئيس في تنفيذها كالعود مثلاً، واظهار الطريقة اليمنية التقليدية في الاداء والاسلوب والمحافظة على اللون اليمني وروحه ونكهته من خلال استخدام (تقاسيم الفرتاش) ذات النغم اليمني المميز ، وكذلك الاستعانة ببعض ضاربي الايقاع اليمنيين لاظهار الايقاع اليمني الصحيح بالوانه المختلفة .

وأهم مميزات الاغنية الصنعانية والاغنية الصنعانية خصوصية يمنية فإنه قد جسد ايضاً أهم حلقات التفاعل بين الغناء في اليمن والغناء في الاقطار الاخرى .. وفي هذا المجال يقول الفنان جابر علي أحمد لاننسى اسهام الفرق الصوفية في توظيف الموشح اليمني في تعزيز حالات التفاعل الفني بين اليمن والاقطار العربية والاستفادة من ذلك في إحداث نوع من التجديد في شكل الموشح مع بقائه محافظاً على نكهته اليمنية الخاصة .

وقد بدأت الحركة التجديدية تلك مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال عدد من الاعلام ، منهم الشيخ جابر رزق في زبيد الذي قدم نماذج غنائية مهمة جداً في اطار الموشح اليمني منفتحاً على العناصر الغنائية العربية ، كما ظهرت تجربة سلطان الشيخ هرهرة في منطقة حضرموت ، وهذا علم غنائي مهم جداً ظهر بطريقة خاصة في الغناء تبلور منها لاحقاً لون جديد في الغناء اليمني يعرف اليوم بالغناء الحضرمي الذي يعتمد اساساً على المفردات الموسيقية الشعبية في حضرموت .. ومن ثم جاءت بعد ذلك تجربة أحمد فضل القمندان في منطقة لحج وقدم تجربة جديدة في اطار الموشح اليمني .

استمدت مفرداتها من الأوزان الشعبية في لحج وأصبحت تعرف باللون الغنائي اللحجي.. وبعد القمندان ظهرت في عدن – وتحديداً في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن المنصرم – وكانت حينها المحافظات الجنوبية والشرقية واقعة تحت الاحتلال البريطاني.. حركة يمكن أن يطلق عليها حركة أحياء الغناء التقليدي من خلال كوكبة من الفنانين التقليديين مثل علي أبوبكر باشراحيل وعلي عوض الجراش ومحمد الماس وابراهيم محمد الماس وآخرين.. وخلال تلك الفترة كانت الأفلام المصرية والهندية تمارس تأثيراً يومياً في الفنانين اليمنيين في عدن فظهر منهم إلى جانب من كان مهتماً بتراث الموشحات التقليدية شباب يعتقدون أن التجديد يمكن أن يستلهم على الأقل بعض مفرداته من الغناء المصري والغناء الهندي، ومن هؤلاء كان الفنان محمد جمعة خان الذي مثل واحداً من أعلام الغناء وكان أبوه هندياً وأمه حضرمية وقد دخل مجال الغناء تحت تأثير قوي للغناء الشعبي اليمني. أما بالنسبة إلى العناصر الوافدة من مصر فقد دخلت في صلب التجديد الغنائي.. ويمكن هنا أن نذكر ممن كانوا واقعين تحت هذا التأثير الغنائي المصري خليل محمد خليل وسالم بامدهف وأحمد قاسم ومحمد عبده زيدي وياسين فارع.. وغيرهم.

ومقابل كل هؤلاء ظهرت طائفة أخرى من الفنانين متمسكين بالعناصر المحلية وبالتراث الغنائي، منهم محمد مرشد ناجي وعبدالله هادي سبيت.. وآخرون.

تزامن ذلك الحراك الغنائي الذي شهدته عدن والمحافظات الجنوبية مع حالة انحسار في صنعاء والمحافظات الشمالية التي كانت واقعة حينئذ تحت حكم الأئمة الذين كان لهم موقف سلبي من هذا الفن، وهذا بحد ذاته – كما يقول الفنان جابر علي أحمد – كان له أثر سلبي في الفعل الموسيقي في هذا الجزء من اليمن خلال الفترة التي امتدت إلى قيام الثورة في بداية الستينيات، إلا أن ذلك لايعني أن التحريم الإمامي للموسيقى والغناء قد منع الناس اعتماد هذا الشكل في التعبير، بل كان هناك ممارسة وخصوصاً في ما يتعلق بالغناء الشعبي. أما بالنسبة إلى الغناء التقليدي فهذا المستوى من الغناء قد

## رغم العطاء الفني الابداعي والإنساني الذي قدمه الزيدي للوطن إلا أنه لم ينل ما يستحقه من التكريم إلى ان توفاه الله

ببراعة وحنكة تؤكد قدرته الفائقة على الاستمرارية والتجدد بما يتوائم وينسجم مع آخر صيحات ومبتكرات الزمن الذي يعيشه ، وربما في أحيان كثيرة نجده يسبق عصره في التنبؤ بما يمكن أن يحدث للأذن المستمعة والمتلقية لأعماله ونتاجاته الرائعة ، فظل الفنان المبدع محمد عبده زيدي عائشاً في وجداننا وقلوبنا باعماله الخالدة رغم رحيله .

●● شكلت عطاءاته ونتاجاته (الغنائية الموسيقية الوطنية) أنموذجاً مغايراً خرج به عن المألوف ، منها على سبيل المثال : والله بلدنا نورت ، ياسلام ياتلال ، الوصية فأتسمت غالبيتها بالعاطفة المتدفقة بالمشاعر الجياشة حباً وعشقاً للوطن ، إضافة لرشاقة وحيوية الإيقاع المصاحب للجملة الموسيقية في وطنياته الخالدة .

●● والواقع أن من أهم أسباب حبي وعشقي واحترامي (للزيدي) أنه رفض أن أكون (مقلداً) لمحمد عبده زيدي أو لغيره من الفنانين الآخرين ، وشجعني بالنصيحة والرأي السديد للاستقلال بشخصيتي الفنية الجديدة ، الأمر الذي جعله كبيراً في قلبي اسماً ومعنى لاينفصلان على الإطلاق .

●● عرضت القناة الفضائية اليمنية بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل الفنان محمد عبده زيدي مجموعة من أغانيه ، من ضمنها أغنية قدمها على العود فقط في الثمانينات حملت أهم الألحان في زوامل (خليت براقاً لمع) ، وذلك يؤكد ما ذكرناه سلفاً من وثبات والتقاطات فنية جادة وهامة للفنان العظيم محمد عبده زيدي .

## ختاماً

عرفت الاستاذ القدير محمد عبده زيدي كتلة من المشاعر والأحاسيس الإنسانية ، معتزاً بنفسه وبفنه ، وقد كان بالنسبة لنا ولايزال معلماً وأخاً كبيراً وصديقاً صدوقاً منذ عرفناه إلى أن توفاه الله .

رحم الله فقيدنا استاذ الأجيال (محمد عبده زيدي) وأسكنه فسيح جناته ، فقد كان بحق يشكل بعطائه الغنائي الموسيقي إضافة متفردة ومتميزة في مسار الغناء اليمني الحديث .

## خاطرة

لا أدري لماذا لم يدرج العمالقة : سالم بامدهف / يحيى مكي / د. محمد عبده غانم / علي محمد لقمان / الأمير أحمد فضل القمندان / محمد سعيد جرادة / محمد عبده زيدي / لطفي جعفر أمان / محمد سعد صنعاني / محمد جمعة خان / أحمد الجابري / صالح فقيه / صالح نصيب / عمر عبدالله نسير / فضل محمد اللحجي .. في قائمة المكرمين الذين قدموا عطاءات استثنائية ويحتفى بهم بما ينسجم ويليق بمكانتهم وتاريخهم الابداعي المشرق من وثبات والتقاطات فنية جادة وهامة للفنان العظيم محمد عبده زيدي .

في حياته وبقيت نتاجاته الإبداعية تنبض بالحيوية والحركة منذ بداياته الاولى وكذلك بأعماله الجديدة والحديثة التي قام بتسجيلها مؤخراً للإذاعة والتلفزيون .. نتذكر من هذه الأعمال الرائعة : ١) لاتتعب نفسك - كلمات لطفي جعفر أمان ٢ ) شكراً لخطابك الأخير - كلمات نزار قباني ٣ ) القناعة- كلمات ناصر علوي الحميقاني .

وجدير بالاشارة أنه قد قام بتوثيق هذه الأعمال جميعها لاذاعة عدن ولم يتمكن من تسجيلها للتلفزيون لظروفه الصحية باستثناء أغنية (القناعة) التي سجلت في حفل وحفظت في مكتبة تلفزيون عدن القناة (٢).

والحقيقة ان الزيدي (رحمه الله) حقق ما عجز عنه الكثيرون من الفنانين الأحياء ، ولكنهم للأسف (ماتوا فنياً) منذ زمن طويل ، فعند الاستماع إلى أعماله الاخيرة سنجده في كل أغنية من الاغاني الثلاث التي ذكرناها يختلف شكلاً ومضموناً

# الأغنية اليمنية من الداخل

(٢٠٢)

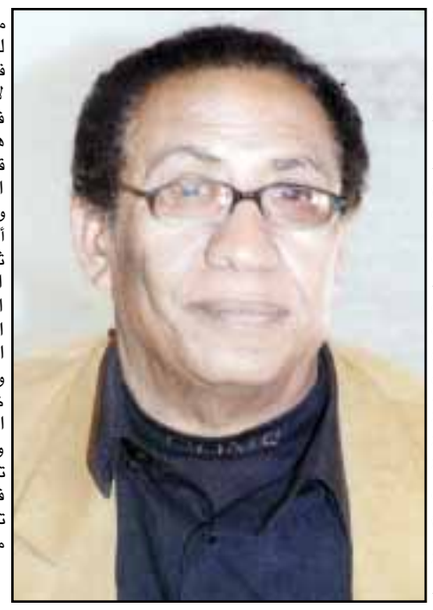

مورس عليه ضغوط شديدة وهذا كان له انعكاس سلبي يجد تعبيره اليوم في تكنيك العزف وتكنيك الأداء وهذا لايعني أنه لم يوجد فنانون محترفون في صنعاء، بل على العكس كان هناك فنانون مرموقون مثل الفنان قاسم الأخفش الذي ظل يمارس فعله الغنائي من خلال آلة (القنمبوس). وكما ظهر بني العجمي وظهرت أسماء أخرى كثيرة وخصوصاً بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٢٦م التي فكت القيود التي كانت مفروضة على الغناء في صنعاء والمحافظات الشمالية والغربية وظهرت حركة انتعاش فني في تعز وصنعاء والحديدة، وهذا الانتعاش انعكس في ظهور أسماء كبيرة مثل الفنان علي الآنسي والفنان أحمد السنيدار، وغيرهما من الفنانين الذين مارسوا تأثيراً مهماً في الحياة الفنية.. وبدأت في تلك الفترة محاكاة في الشمال لما تعيشه الحياة الموسيقية في الجنوب من تجديد وتفاعل.

## الإيقاعات الشعبية

عبر مراحل تشكله ظل المكون الموسيقي والغنائي اليمني محتفظاً بخصوصيته. يقول الفنان جابر علي أحمد : وهذه الخصوصية ظلت تلازمه منذ الممالك القديمة فمنذ تلك الممالك اشتهر الغناء اليمني في شكلين : الأول هو الغناء التقليدي بوصفه غناء متقناً يؤديه محترفون، وإلى جانب الغناء المتقن كانت توجد أشكال غنائية شعبية.. ظلت هي المرجعية الأساسية في الألوان الغنائية التقليدية اليمنية التي تبلورت لاحقاً وحتى بعد انهيار دولة الخلافة العباسية التي ظهر فيها ما يسمى الموسيقى التقليدية العربية، والتي اختزلت كثيراً من خصوصيات كثير من البلدان التي خضعت لدولة الخلافة ظلت اليمن محتفظة بسماتها الغنائية الشعبية شعراً وموسيقى، ونتيجة لتعدد أشكال وأنماط الموروث الشعري الموسيقي الشعبي داخل اليمن من منطقة إلى أخرى تعددت أشكال وأنماط الموسيقى والغناء التقليدي، ولهذا تجد أن التركيبة الشعرية والموسيقية لكل منطقة تستمد جذورها من الموروث الشعبي للمنطقة نفسها.

هذا الموروث الغنائي الشعبي اليمني – حسب الفنان جابر – ليس له خصائص محددة سوى أنه يتمثل في إيقاعات شعبية خاصة تنسجم مع خاصية كل منطقة، ولهذا لكل منطقة يمنية أشكالها الإيقاعية الخاصة، ولو عددنا هذه الإيقاعات لوجدنا أنفسنا أمام مئات الأشكال، فيها ما يجمع وفيها مايفرق؛ فمثلاً هناك إيقاعات تجدها في كثير من المناطق اليمنية مثل (السارع) تجده في تهامة وفي يافع وفي مناطق أخرى، وهناك (الموازين السداسية) في تهامة وفي لحج وفي حضرموت.. وكل هذه مسميات هي بحاجة إلى جمع ورصد؛ وهذا ميدان خصب جداً للباحثين اليمنيين.

## ظهور الموشح

يرى كثير من الباحثين ان ماشهده الغناء اليمني قبل القرن السادس الهجري كان بمثابة إرهاصات تبلور منها ذلك التطور الذي حدث في ذلك القرن ، وهو التطور الذي شكل مرحلة جديدة للغناء التقليدي اليمني الذي أبحر الحديث عنه الى قالب جديد هو الموشح ، والمعروف بالموشح الغنائي اليمني الذي عرف لاحقاً بشعر الغناء الصنعاني، وهو الغناء الذي يستمد معظم مادته مما يعرف بالشعر الحميني (بضم الحاء) وهذا الشعر ينفرد به اليمن دون غيره فهو غير ملتزم بقواعد اللغة الفصحى ومفرداتها وعروضها . ويتابع الفنان جابر: وللشعر الحميني في اليمن أشكال ثلاثة هي: الموشح والمبيت والقصيد، وهذه الأشكال الثلاثة مثلت أهم روافد الغناء التقليدي، وإن كان الشكل الأول المتمثل بالموشح قد عكس في منظومته المقامية والإيقاعية واللحنية الخصوصية الغنائية اليمنية التي تجلت كثيراً فيما عرف بالأغنية الصنعانية، لكون هذا الموشح يعتمد على ضروب إيقاعية وعلى صياغات لحنية ومقامية تستمد وجودها من منظومة حسية يمنية متفردة تتمثل في الأصوات الغنائية الشعبية في المرتفعات الجبلية.. ولعل هذا يتضح من خلال العلاقة البارزة بين موازين الأغاني الشعبية في هذه المناطق والتراكيب الضروبية لهذه الموشحات، هذا فضلاً عن الوشائج الواضحة – لغوياً وعروضياً – بين شعر الموشحات اليمنية والشعر الشعبي لأبناء هذه المناطق.

ويضيف: وما يلقي مزيداً من الضوء على هذه السمة أن ضروب الموشحات اليمنية هي نفسها تلك الموازين المنظمة للرقص الشعبي في مناطق المرتفعات الجبلية بما فيها صنعاء .. وليس أدل على ذلك من أن الرقص في مدينة صنعاء يعتمد على الضروب ذاتها التي تتخلل البنى التحتية للموشح، ولعل هذا كان وراء تسميته بالأغنية الصنعانية، هذه الأغنية التي تعد أبرز ألوان الغناء اليمني إن لم تكن حالة التميز فيه. وعلى الرغم من الاختلاف الذي لايزال قائماً حول عمر الأغنية الصنعانية إلا أن الراجح بأن لها تراثاً غنائياً يعود الى ما قبل القرن السادس الهجري، وقد بلغ ذروته في القرن التاسع الهجري من خلال كوكبة من ألمع الشعراء يتصدرهم محمد بن عبدالله بن شرف الدين .

ويتابع الفنان جابر علي أحمد موضحاً أن هذا الشكل الغنائي اليمني قد تعرض في اثناء الحكم الأمامي ، وتحديداً في فترة حكم الامام يحيى وابنه أحمد في النصف الأول من القرن العشرين ، إلى موجة تحريم اعاقت تقدمه .

## الغناء الصنعاني

في ذلك الوقت كانت عدن والجزء الجنوبي من اليمن التي كانت تحت الاحتلال البريطاني ملجأ وملاذاً لكثير من المطربين الفارين من ملاحقة أسرة آل حميد الدين ، وتحملت عدن في تلك الفترة مسؤولية الحفاظ على التراث الغنائي القديم ونشره بشتى الطرق .. حتى جاء من قال إنه لولا وجود الغناء الصنعاني في عدن وغيرها من المناطق التي لم تكن خاضعة لحكم أسرة آل حميد الدين لتلاشى ذلك التراث ، حيث كانت عدن أول من سجلت الإغاني اليمنية في آخر الثلاثينات والاربعينيات والتي حفظت لنا الكثير من تلك الاغاني حتى يومنا هذا ، كما أسهمت في اخراج الأغنية الصنعانية إلى المستوى الاقليمي والعربي بفضل الكثير من المطربين أمثال : أبوبكر سالم بلفقيه وعبدالرحمن الحداد وأحمد فتحي ومحمد سعدعبدالله ومحمد مرشد ناجي وفيصل علوي وايوب طارش .. وغيرهم بعد أن قاموا بتهذيب الكثير منها وإعدادها وتقديمها من خلال فرق موسيقية عربية وأدخلوا عليها المقدمات الموسيقية واثروها باللزمات وملء الفراغات الزمنية واعطوا الآلات الموسيقية اليمنية التقليدية الدور الرئيس في تنفيذها كالعود مثلاً، واظهار الطريقة اليمنية التقليدية في الاداء والاسلوب والمحافظة على اللون اليمني وروحه ونكهته من خلال استخدام (تقاسيم الفرتاش) ذات النغم اليمني المميز ، وكذلك الاستعانة ببعض ضاربي الايقاع اليمنيين لاظهار الايقاع اليمني الصحيح بالوانه المختلفة .

وأهم مميزات الاغنية الصنعانية نجدها في المدى المحدود من الانغام الموسيقية التي يمكن ان يعزف بها اللحن على العود ، ويمكن استنتاج ذلك من أن معظم الاغاني الصنعانية من الممكن عزفها على الاوتار الثلاثة للعود في مدى إحدى عشرة نغمة من الانغام الخمسة عشر التي يمكن الحصول عليها عادة من الاوكتافين الاثنين في العود ذي الخمسة الاوتار ، لذلك كان العود المحلي المصنع ذو الاوتار الخمسة يكفي لاداء هذه الاغاني .. حسب ما ذكره عبدالقادر قائد في كتابه عن الغناء اليمني موضحاً ان العازفين للموسيقى الصنعانية كانوا يتخذون مع آلة العود (القنبوس) آلة من النحاس تشبه الدف في شكلها وتسمى الصحن وطبلاً يدوياً صغيراً اسمه المرواس .. ولم يدخل التجديد على آلة الطرب المستعملة في الموسيقى الصنعانية إلا في الايام الاخيرة ، ويظهر هذا التجديد في الاستعاضة عن العود ذي الاوتار الأربعة والبطن المغشاة بالرق بالعود ذي الاوتار الخمسة والبطن المغشاة بالخشب وعن الصحن بالدف وعن المرواس بالدربوكة!

## التجديد الغنائي

وفي الوقت الذي شكل الموشح الموسيقى الشعبية في حضرموت .. ومن ثم جاءت بعد ذلك تجربة أحمد فضل القمندان في منطقة لحج وقدم تجربة جديدة في اطار الموشح اليمني .

استمدت مفرداتها من الأوزان الشعبية في لحج وأصبحت تعرف باللون الغنائي اللحجي.. وبعد القمندان ظهرت في عدن – وتحديداً في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن المنصرم – وكانت حينها المحافظات الجنوبية والشرقية واقعة تحت الاحتلال البريطاني.. حركة يمكن أن يطلق عليها حركة أحياء الغناء التقليدي من خلال كوكبة من الفنانين التقليديين مثل علي أبوبكر باشراحيل وعلي عوض الجراش ومحمد الماس وابراهيم محمد الماس وآخرين.. وخلال تلك الفترة كانت الأفلام المصرية والهندية تمارس تأثيراً يومياً في الفنانين اليمنيين في عدن فظهر منهم إلى جانب من كان مهتماً بتراث الموشحات التقليدية شباب يعتقدون أن التجديد يمكن أن يستلهم على الأقل بعض مفرداته من الغناء المصري والغناء الهندي، ومن هؤلاء كان الفنان محمد جمعة خان الذي مثل واحداً من أعلام الغناء وكان أبوه هندياً وأمه حضرمية وقد دخل مجال الغناء تحت تأثير قوي للغناء الشعبي اليمني. أما بالنسبة إلى العناصر الوافدة من مصر فقد دخلت في صلب التجديد الغنائي.. ويمكن هنا أن نذكر ممن كانوا واقعين تحت هذا التأثير الغنائي المصري خليل محمد خليل وسالم بامدهف وأحمد قاسم ومحمد عبده زيدي وياسين فارع.. وغيرهم.

ومقابل كل هؤلاء ظهرت طائفة أخرى من الفنانين متمسكين بالعناصر المحلية وبالتراث الغنائي، منهم محمد مرشد ناجي وعبدالله هادي سبيت.. وآخرون.

تزامن ذلك الحراك الغنائي الذي شهدته عدن والمحافظات الجنوبية مع حالة انحسار في صنعاء والمحافظات الشمالية التي كانت واقعة حينئذ تحت حكم الأئمة الذين كان لهم موقف سلبي من هذا الفن، وهذا بحد ذاته – كما يقول الفنان جابر علي أحمد – كان له أثر سلبي في الفعل الموسيقي في هذا الجزء من اليمن خلال الفترة التي امتدت إلى قيام الثورة في بداية الستينيات، إلا أن ذلك لايعني أن التحريم الإمامي للموسيقى والغناء قد منع الناس اعتماد هذا الشكل في التعبير، بل كان هناك ممارسة وخصوصاً في ما يتعلق بالغناء الشعبي. أما بالنسبة إلى الغناء التقليدي فهذا المستوى من الغناء قد

## كانت عدن ملاذاً لكثير من المطربين الفارين من ملاحقة أسرة آل حميد الدين

والإيقاعات الشعبية في حضرموت وتحت تأثير الغناء الهندي أيضاً؛ فكان يأخذ قصائد فصيحة من التراث الحضرمي ويلبسها ألحاناً هندية.. فبقيت الألحان الهندية على ضفاف التجارب التجديدية الغنائية؛ أي أنها مادخلت في صلب التجديد الغنائي

# طوف دنيا

كلمات / علي أمان

بعد ما تتعب
بعد ما تطوف دنيا ..
بعد ما تهرب
من حياتك اللي فانيه

عود لي ثاني
با تلاقي الفل نادي
باتلاقي الحب كله
عاده بادي
زي ما شفتك في البداية ما تغير
حتى شوقي لك زيادة شيء يحير !

× ×

طوف دنيا
طوفها دي الأرض وطير
وان لقيت غيري يحبك
وكسا جسمك حرير
زي حبي .. حب مافيش
زي قلبي .. ما تلاقيش
وان بنا دا العمر طال
وتغير كل شيء من حال لحال
الزمن وحده كفيل
مهما كان الليل طويل
باتعود لي ..
باتلاقي الفل نادي
باتلاقي الحب كله عاده بادي
زي ما شفتك في البداية ما تغير
حتى شوقي لك زيادة شي يحير!!
طوف دنيا

# في الوجدان .. في الذاكرة

جعفر حسن

جعفر حسن

يختزن وجداني كما تختزن ذاكرتي، أشياء كثيرة .. أشياء جميلة طبعاً عن الفنان جعفر حسن.. الوجدان لا يختزن إلا الأشياء الجميلة في حين أن الذاكرة قابلة لاختزان – من وجهة نظري بعيداً عن نظريات علماء النفس – منظومة من الأشياء والمواقف الإنسانية الجميلة منها والقبيحة على السواء بغض الطرف عن تأثيرها وأصدائها سلباً وإيجاباً!

لظروف ما .. ابتعد جعفر قليلاً .. لكنه – وهذا إحساس خاص – اقترب كثيراً وكثيراً .. لا أعني بذلك ما ذهب إليه المثل «زُر غِبّاً تزدد حباً»!

جعفر حسن فنان عميق جداً في كل مسلكياته الإنسانية العامة .. حياته معين متدفق بفن الموسيقى وعطاءاته الباذخة .. وفنه مترع بالجمال وشتى مظاهر المبدعات الكونية .. وفي ذهنيته يتعانق الجميل والحيوي والنابض عن الموروث الموسيقي مع العصري الشامخ .. لأن ذهنيته بطبيعتها ترفض الغث والساذج والسطحي.

ومن الطبيعي أن الذهنية العملاقة – الخلاقة ترفض الهشاشة والبهرجة الموسيقية التي تفسد الذوق وتشوه الإحساسات وهي شبه رائجة للأسف في حياتنا الراهنة .. ولست أدري ما الذي جعل معظم الشباب مشدوهاً بها .. ومنجذباً إليها؟!

هل يعزى ذلك إلى الفقر الفكري والضحالة الروحية السائدين في حياتنا الراهنة؟! .. ربما .. ربما.

قبل ثلاثين عاماً .. وتحديداً في منتصف السبعينات من القرن الماضي.. وطأت قدماه أرض (عدن) .. المدينة اليمنية الطاهرة الساحرة .. الرائعة العاشقة .. عدن المدينة السهلة الصعبة التي تعلن رغائبها لمجانين الإبداع .. لأنها منذ أن أوجدها الله وشكلها بتكويناتها الطبيعية المختلفة طفلة الجمال والإبداع.

ولما كان جعفر حسن مبدعاً حقيقياً، وبتلقائية ذاته الحساسة استطاع منذ البداية أن يخلق حالة تلاحم روحي بينه وبين جسدها الفاتن وأصبح عاشقاً لها .. يترنم بموجات شواطئها ويعزف أعذب النغمات لضفائر رمالها المتوزعة بين أحضان البحر وأحضان الجمال!!

ظل عشق عدن /مايزال/ يحاصر جعفر حسن فصار عاشقاً يتعبد في محراب قدسية طفولتها .. وكما توغلت هي في نياط قلبه . وتضاريس روحه .. توغل في بهاءات أبجديتها الباهرة/المبهرة .. وفتح شهية ناسها لاستقبال صباحاتها الندية الرطبة بالحب والخير والتفاؤل والأمل!

وتصاعدت أصداء حنجرته الناعمة .. وحلقت نبراته الرخيمة في فضاءاتها مرددة (شامة على خد الزمن .. يسعد صباحك يا يمن) كما لو كان يريد أن يؤكد أن عدن الطفلة اليمنية المدللة .. وهذه إشارة واضحة إلى أن عدن (عروس بحر العرب) وجه جميل ونادر يعكس جمال وندرة الأرض اليمنية الواحدة التي تتلاحم شواطئها وتترابط صخورها برمالها!!

إنها (بلقيس) رمز الحكمة والحنكة والجمال .. وعبق التاريخ اليمني!!

عبدالرحمن إبراهيم

أخي المواطن .. **أقلع عن التدخين وأدرأ عن نفسك وعن صحتك أضراره القاتلة**